المحاضرة الثامنة

اللسانيات و الخطاب السيميائي

المحتويات:

1-تعريف السيميائيات

2-موضوع السيميائيات

3-منابع السيميائيات

4- مبادئ السيميائيات

5-اتجاهات السيميائيات

6-تطبيقات المنهج السيميائي

المحاضرة الثامنة: اللسانيات و الخطاب السيميائي

تعالج هذه المحاضرة تحليل الخطاب من قبل المنهج السيميائي، اعتبارا من كون أي خطاب هو مجموعة من العلامات فهو يحيل على تأويلات معينة انطلاقا من كونه دالاً؛ ومنه فالخطاب السيميائي هو الخطاب الذي يخضع للمقاربة السيميائية التي تفك شفراته و تحدد مآلاته الدلالية.

في بداية القرن الماضي بشر عالم اللسانيات اللساني السويسري "فردناند دي سوسير" بميلاد علم جديد أطلق عليه اسم "السيميولوجيا"، ستكون مهمته كما جاء في دروسه التي نشرت بعد وفاته (1916)، هي «دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية »، ولقد كانت الغاية المعلنة و الضمنية لهذا العلم هي تزويدنا بمعرفة جديدة ستساعدنا، لا محالة في فهم أفضل لمناطق هامة من الإنساني والاجتماعي ظلت مهملة .

1-تعريف السيميائيات

تُجْمع عدة كتابات ومعاجم لغوية وسيميائية على أن السيميائيات هي ذلك العلم الذي يُعْنى بدراسة العلامات. وبهذا عرفها "فرديناند دي سوسير"، و"جورج مونان G. Monnan "، و"كريستيان ميتز Ch. Metz " ، و"تزفيتان تودوروف T. Todorov "، و"جوليان غريماص J. Greimas "، و"جون دوبوا J.-P. Dubois "، و"رولان بارث"، وآخرون. ويبدو أن تعريف "مونان" أوفى هذه التعريفات وأجودها، إذ يحدد السيميولوجيا بأنها « العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات (أو الرموز) التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس». وانطلاقا من هذا التعريف، يمكن أن نستخلص أموراً ثلاثة:[1]

* إن السيميائيات علم (أو نظرية أو منهج) .

* السيميائيات تدرس العلامات وأنساقها (علامات لسانية/علامات غير لسانية).

* للعلامات أهمية كبرى كونها تحقق التواصل (تبادل المعلومات).

يعرّف "سعيد بنكراد" السيميائيات بأنها « دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية "[2]، وهي في حقيقتها " كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة ، إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والمتمنّع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكنونات المتن ».[3]

2-موضوع السيميائيات :

من خلال التعاريف السابقة يتضح أن موضوع السيميائيات هو " العلامات وأنساقها". فالسيميائيات انطلقت أساسا من مشروع دي سوسير (دراسة حياة العلامات في كنف المجتمع). إلا أنه من الصعوبة بمكان إعطاء تعريف واحد نهائي للعلامة، بالنظر إلى توسعه داخل كل علوم اللغة من جهة، و اختلاف المنطلقات الإبستمولوجية التي يستند عليها كلّ معرِّف من جهة أخرى.[4]

-تعريف سوسير للعلامة كان ضيقا و تجريديا، حيث عدّها مجموع الدال (الصورة السمعية) والمدلول (التمثيل الذهني للشيء)، على أن العلاقة بين وجهي العلامة (الدال/المدلول) هي اعتباطية. مستثنيا ما كان رمزا أو إشارة، مهملا علاقة العلامة بالواقع، مكتفيا بعلاقتها بما يجاورها.

-تعريف "ميخائيل باختين Mikhaïl Bakhtine" أقرب للفعل السيميائي، لغويا كان أم غير لغوي؛ إذ يرى أن العلامة تتناسب والإيديولوجيا، فحيث توجد العلامة توجد -بالضرورة- الإيديولوجيا. ووجود العلامات هو تجسيد للتواصل الاجتماعي.

-تعريف "أمبيرطو إيكو Umberto Eco" يستند إلى كون العلامة "حركة geste " تستهدف تحقيق التواصل، ونقل معنى خاص أو حالة شعورية لباثّ إلى مستقبِل.

-تعريف (مفهوم) "بيرس Ch.S.Peirce" للعلامة يقوم على علاقة ثلاثية تمثل ثلاث أبعاد للعلامة: الممثّل والموضوع والمؤوِّل". إلاّ أن الأبرز في سيميوطيقا بيرس، أنها تشمل العلامات اللسانية و غير اللسانية، ومنها نشأت فكرة تقسيم الأنساق الدلالية إلى أقسام أهمها: اللفظية (اللسانية) وغير اللفظية (غير اللسانية).

3-منابع السيميائيات :

تعد السيميائيات تخصصا معرفيا حديثا، ولم تظهر ملامحها المنهجية إلا مع بداية القرن العشرين، وقد كانت "نشأتها مزدوجة؛ نشأة أوربية مع دي سوسير، ونشأة أمريكية مع بيرس.

يرى بعض الدارسين أن السيميائيات قد انطلقت مع سوسير الذي تنبأ في محاضراته بولادة علم جديد يعنى بدراسة العلامات. وفي الوقت الذي تنبأ فيه سوسير بأن علما للعلامات سيوجد مستقبلا، كان معاصرُه بيرس منشغلا بإبراز معالم هذا العلم، دون أن تكون له معرفة مسبقة بما تنبأ به سوسير.

البحث في تاريخ السيميائيات صعب؛ ذلك بأنها تضرب بجذورها في أغوار الماضي السحيق. وعليه، فإنها لم تنشأ مع بيرس ولا مع سوسير، بل هي ضاربة في أعماق التاريخ من خلال أفكار متناثرة في الحضارة اليونانية متمثلة في الفكر المنطقي والبلاغي، وكذلك العرب الذين كانوا يهتمون بـ"السيمياء" أو "علم أسرار الحروف" في إطار اهتمامهم بالدلالة والمنطق. إلا أن المعروف أن تلك الاجتهادات كانت تفتقر للخلفية النظرية الواضحة، بالإضافة إلى تعدد مشاربها. لكن نعود لنقول إن الانطلاقة الحقيقية كانت مع "سوسير" و"بيرس" من خلال الاستناد على اللسانيات البنيوية والمنطق.

4- مبادئ السيميائيات :

تنهض السيمائيات العامة، داخل إطار نظرية العلامة، على حقول نظرية قاعدية كتلك التي ترتبط بأنموذجة العلامة اللسانية، أو بمتصورات الدلالات المفتوحة، أو بالنظرية السردية للخطاب.[5] وفي هذا السياق بدا من المهم الوقوف على مجموع تلك المفاهيم اللسانية التي أضحت تشكل مبادئ للسيميائيات.

- الأسس الألسنية السوسيرية

وضع دي سوسير العلامة اللغوية في إطارين: الأول مادي هو الدال Signifiant (صورة صوتية) والثاني مثالي وهو المدلول Signifie فإذا أخذنا على سبيل المثال كلمة" فرس "فإن الدال هو الصورة الصوتية (يعني وجود أصوات ف- ر- س)، أما المدلول فهو- مفهوم الفرس . والعملية التي يجري إخضاع الدال لها وتتماشى والمدلول تسمى الدلالة Signification ؛ إذ أن الرابطة مابين هذا الدال وما يقابله من مدلول، من حيث الجوهر- هي رابطة تواضعية وغير معللة (لأننا لا نستطيع أن نثبت، على سبيل المثال، أن الصورة الصوتية لكلمة" فرس "يحددها جوهر مفهوم "الفرس") ولكن، مع ذلك فإن المواضعة الساكنة في أساس الدلالة وطيدة وثابتة (لا يوجد أحد من بين أعضاء المجتمع يستطيع أن يغيرها انطلاقاً من رغبته الفردية) .

- أضحت الدلالات المفتوحة مثار اهتمام جل المقاربات السيميائية، بيد أن مختلف هذه الإسهامات ظلت تفتقد للتأطير النظري ولم تنجح غالبية تصوراتها في تقديم نمذجة حقيقية لذلك آثرنا تقديم سيميائيات "شارل سندرس بيرس"، بوصفها دأبت على معالجة إشكالية الدلالات المفتوحة في ضوء أنموذجية الفكرة ومقولاتها [6].

- تطغى الخصوصية التواصلية للسان على مجموع الأنساق السيميائية، وقد استطاع "رومان ياكبسون " أن يستوضح بخطاطته التواصلية عناصر الشبكة الأنموذجية للتواصل، وعلى نهج هذه الشبكة طفقت سيميائيات التواصل تبلور مفاهيمها .

- إن اهتمام السيميائيات العامة داخل حدود الشكل الدال المنتج والمتبادل بين أطراف الفاعلين المتواصلين بآثار المعنى الناتجة عن الاستعمال، قد قادها على خطى "بارت" إلى استقطاب مختلف الأنساق الدالة الاجتماعية، فأضحت الأسطورة والموضة والأثاث والطعام وغيرها تعد بؤرة لتفتيق مبحث الدلالة.[7]

- ينظر "بارث" إلى النص كله كدال متكامل، يراعي مدلولا ضمنيا؛ حيث يكتسي النص كله، الذي يتكون من عدد من علامات اللغة ، معنى ثانويًا جديدًا، وهذا المعنى الجديد بدوره لا يلتقي مع أي معنى من معاني الكلمات المفردة الموجودة في النص. إن جوهر الأدب- حسب رأي بارت -يتلخص في التضمين فالأدبية في الأدب ليست سوى نسق إشاري ثانوي، ينمو على قاعدة اللغة الطبيعية ويخضع لإمرتها.

- تبحث السيميائيات عن المعنى ، من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة . وهي لذلك لا تهتم بالنص ولا بمن قاله ، و إنما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو كيف قال النص ما قاله ؟ [8] ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد لتحدد ثوابته البنيوية وهذا العمل يقوم على المبادئ التالية :[9]

أ- **<u>التحليل المحايث</u>:** ونقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة وإقصاء كل ما هو إحالي خارجي كظروف النص والمؤلف وإفرازات الواقع الجدلية. وعليه، فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

ب- **<u>التحليل البنيوي</u>:** يكتسي المعنى وجوده بالاختلاف وفي الاختلاف، ومن ثم، فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات. وهذا بدوره يؤدي بنا إلى التسليم بأن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها، ولذا لا يجب الاهتمام إلا بالعناصر التي تبلور نسق الاختلاف والتشاكلات المتآلفة والمختلفة. كما يستوجب التحليل البنيوي الدراسة الوصفية الداخلية للنص ومقاربة شكل المضمون وبناه الهيكلية والمعمارية.

ت- **تحليل الخطاب:** إذا كانت اللسانيات البنيوية بكل مدارسها واتجاهاتها تهتم بدراسة الجملة انطلاقا من مجموعة من المستويات المنهجية حيث تبدأ بأصغر وحدة وهي الصوت لتنتقل إلى أكبر وحدة لغوية وهي الجملة والعكس صحيح أيضا، فإن السيميائيات تتجاوز الجملة إلى تحليل الخطاب.

5-اتجاهات السيميائيات :

5-أ/ السيميولوجيا عند " دى سوسير[10]"

تعنى السيميولوجيا السوسيرية بعموم العلامات في نطاق المجتمع ويبدو التأثير السيكولوجي واضحا في نظريته؛ فهو يعتبر العلامة كيانا نفسيا ثنائي المبنى، يتكون من وجهين يشبهان وجهي العملة النقدية، يرتبطان فيما بينهما ارتباطا وثيقا قويا، حيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لأن انتفاء أحدهما يؤدي إلى انتفاء العلامة ؛ الأول هو الدال ويقصد به الصورة الصوتية الحسية (لها علاقة بالحواس) التي تحدثها في دماغ المستمع سلسلة من الأصوات التي تلتقطها أذنه، فهو كيان صوتي نفسي ليس ماديا ، والثاني هو المدلول أو التصور وهو ليس شيئا واقعيا ملموسا، وإنما صورة ذهنية عن العالم الخارجي بأبعاده الواقعية . إنه صياغة مجردة للوقائع الموضوعية « أو المخيالية وليست العلامة الدال وحده ، أو المدلول وحده، وإنما هما معا ، أو لا تكون .

إن العلاقة بين الدال والمدلول لا تقوم على المشابهة والمماثلة، وإنما تقوم على الاعتباط ويفهم من الاعتباطية عدم وجود علاقة طبيعية- لا يمكن تبريرها منطقيا وعقليا - بين الدال والمدلول ، وبفضلها تم تحديد الموضوع الرئيس للسيميائيات ، فالسيميائيات كشف واستكشاف دائمين ، إنها لا تحدد المعنى ، لأن المعنى لا موطن له ، بل تقتفي آثار السيرورة المنتجة له، لأنه ليس كيانا جاهزا بل يخضع في وجوده وتحققه لمجموعة من الشروط حرصت السيميائيات على تحديد بعضها، وذلك لأنه إذا كان الإنسان يرى الأشياء فإن السيميائيات ترى الدلالات.

5-ب/ السيميوطيقا عند " شارل ساندرس بيرس:"

إذا كان " دي سوسير " أصلا لسانيا للنظرية السيميائية ، فإن " بيرس " يعتبر أصلا منطقيا لها، فقد كان فلكيا وعالم مساحة الأرض، كما كان فيلسوفا ذرائعي التوجه ولذلك جاءت سيميائيته تحمل وظيفة فلسفية منطقية، لا يمكن فصلها عن فلسفته التي من سماتها : الاستمرارية، الواقعية ، والتداولية. [11]

إن " السيميوطيقا " عند " بيرس " نشاط معرفي شامل تهتم بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية عبر مجمل لغاتها ومن خلال كل أبعادها، فهي رؤية للعالم تتلخص في النظر إلى الوجود الإنساني من خلال وضعه باعتباره علامة في الكون، بل إن الكون ذاته ليس كذلك إلا في حدود اشتغاله كعلامة، فكل ما فيه من أشياء وكائنات وطقوس وأوهام ، وحقائق يشتغل كعلامة ويتسّلل إلى الوجود الإنساني باعتباره كذلك حيث " إن الإنسان علامة ، وما يحيط به علامة ، وما ينتجه علامة ، وما يتداوله هو أيضا علامة ، والخلاصة أن لا شيء يفلت من سلطان العلامة".[12]

ومفهوم العلامة عند " بيرس " يتشكل بناء على المقولات الثلاث التي حددها في نظريته ؛ فهي تشتغل باعتبارها بناء ثلاثيا يشتمل على أول يحيل على ثان عبر ثالث ضمن دورة مستمرة قد لا تتّوقف عند حد بعينه، فالأول هو تمثيل عام ومجرد ، أما الثاني فهو المعطى الخارجي، في حين يشكل الثالث حالة التوسط الإلزامي الذي يضمن للعلامة صحتها، وبهذا الصدد يعرفها "بيرس" بقوله: هي شيء ما، ينوب لشخص ما عن شيء ما، من جهة ما ، وبصفة ما فهي توجه لشخص ما بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة ، أوربما علامة أكثر تطورا ، هذه العلامة التي تخلقها أطلق عليها **مؤولا** للعلامة الأولى ، إن هذه العلامة تحل محل شيء **موضوعها**، إنها تحل محّله لا من خلال كل مظاهره بل من خلال فكرة أطلق عليها الماثول واستنادا إلى ذلك ، يمكننا فهم البناء الثلاثي للعلامة من خلال:

أولا : العلامة بحد ذاتها أو الممثل

ثانيا : الموضوع

ثالثا : المؤول

ونلاحظ أن العلاقة بين الممثل والموضوع غير مباشرة بل تمر عبر المؤول.

ينبغي الإشارة إلى أن كل عنصر داخل هذه العلاقة الثلاثية يتحول بدوره إلى علامة قادرة على إنتاج الدلالة ، ويمكن عزل كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة ، والنظر إليه في ذاته ، وانطلاقا من ذلك تركز " سيميوطيقا بيرس " على ثلاثة أبعاد رئيسية[13]:

-1- بعد الموضوع object :

ويتّعلق الأمر فيه بالعلامة منظورا إليها في علاقتها بموضوعها الذي تحيل إليه ؛ ويتكون من ثلاث علامات فرعية:

*الأيقونة :عبارة عن علامة تمتلك الخصائص التي تجعلها دالّة ، يتضح موضوعها من علاقة تحيل « خلال التشابه بين الدال والمدلول (المشار إليه – فهي تشبه الموضوع الذي تّمثله، إنها علاقة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل سمات تمتلكها وخاصة بها هي وحدها ... فقد يكون أي شيء أيقونة لأي شيء آخر ، سواء كان الشيء صفة أو كائنا فردا أو قانونا ويمكننا التمثيل لذلك بالتصميم الهندسي للمنزل ، فهو دليل إيقوني نظرا لوجود علاقة تطابق بين المنزل وتصميمه.

*المؤشر: إنه علامة تحيل على الموضوع الذي تشير إليه كونها متأّثرة به ، وليست مشابهة له، فالمؤشر هو علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل وقوع فعل هذا الشيء عليها في الواقع.

انطلاقا من مفهوم " المؤشر " يمكننا تحديد الفرق بين " الإشارة و المؤشر؛ فالإشارة تتطلّب القصد في التواصل ، مثل صفارة الإنذار التي هي دليل على وجود الخطر، أما المؤشر فيحدث في غياب الإرادة التواصلية القصدية ، مثل ارتفاع الحرارة الذي هو دليل على وجود المرض ، والدموع التي هي دليل على الألم.

*الرمز : بالنظر إلى الاستعمالات اليومية لهذا المصطلح ، نستطيع الحكم على العلاقة بين الدال والمدلول بأنها عرفية غير معّللة فالرمز علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة، ونّمثل لذلك بارتباط الحمامة البيضاء بالسلام ، والشمس بالحرية ، والأضواء – أحمر ، أصفر ، أخضر – التي ترمز إلى التّوقف ، أو التمهل ، أوالمرور.

إذن، نفهم من خلال تناولنا لأبعاد الموضوع أنه: إذا كانت العلاقة بين الممثل والموضوع الذي يحيل إليه علاقة تشابه ستكون العلامة أيقونا، وإذا كانت العلاقة سببية ستكون مؤشرا ، أما إذا كانت اعتباطية أو عرفية ستكون العلامة رمزا.

-2-بعد الممثل:

إن الممثل باعتباره علامة رئيسية يتفرع إلى ثلاث علامات:

*العلامة النوعية: تتحدد عند " بيرس " من خلال خاصيتها باعتبارها إحساسا عاما ، ولا يمكنها أن تشتغل – على أساس أنها علامة قبل أن تتجسد في واقعة ما. ومثالها الصوت الذي يمزق الظلام ولا نستطيع تحديد مصدره ، ولا سببه لأنه يشتغل على أنه علامة نوعية.

*العلامة الفردية: ويعرفها " بيرس " بأنها شيء أو حدث موجود وواقعي في شكل علامة، ويمكن أن نّمثل لهذه العلامة بالنصب التذكاري .

*العلامة العرفية: هي قانون أو قاعدة ، أو مبدأ عام في شكل علامة وتعد أنساق الكتابة الخاضعة لقواعد النحو والصرف علامات عرفية.

-3- بعد المؤول:

يتفرع هذا البعد إلى:

*الخبر: ويقصد به في السيميائية البيرسية علامة الإمكانية الكيفية ؛ أي أنه مدرك باعتباره يمثل هذا النوع أو ذاك من الموضوع الممكن بإمكانه أن يمدنا بمعلومات ولكنه لا يؤول باعتباره يّوفر معلومات .

*التصديق : تعرف بأنها العلامة التي تكون بالنسبة لمؤولها علامة وجود واقعي إنها تقدم إعلاما يتعلق بموضوعه. ونفهم من هذا التعريف، أنها علامة تخبر وتعطي معلومة تتّعلق بموضوع العلامة ويمكن أن نّمثل لها بالجملة البيانية.

*الحجة: يمكننا تعريفها ، بأنها ذلك الفعل الذهني الذي يحاول من خلاله الشخص أن يقنع بصحة قضية ما.

5-ج/ اتجاهات أخرى:

تأسست السيميائيات بفضل جهود كل من "دي سوسير "و "بيرس"، ثم اتسع فضاء البحث السيميائي كنتيجة حتمية للجهود التي تبذل في هذا المجال فطالت جميع مظاهر الحياة ، وعليه فقد انقسمت هذه الاتجاهات إلى ثلاث اتجاهات رئيسية هي:[14]

-1- سيمياء التواصل:

ظهرت مع أبحاث "إريك بوسنس" (1943) في تحديده لدراسة أنساق التواصل المتمثلة في الوسائل المستعملة للتأثير في الآخر وهي معروفة لديه ، و سيمياء التواصل تعتمد على مبدئيين أساسيين هما :

-توفر القصد في التبليغ لدى المتكلم.

-اعتراف متلقي الرسالة بهذا القصد.

وتتم معرفة مقياس القصد في التبليغ من خلال التمييز بين نوعين من الوحدات هما:

-الوحدات التي من أجلها يتوفر القصد للتبليغ تسمى أدلة.

-الوحدات التي ينعدم فيها القصد في التبليغ وتسمى إشارات.

فسيمياء التواصل إذن لا تهتم إلا بالأدلة بوصفها قناة الاتصال بين المرسل والمتلقي، أما الإشارات فهي تستبعدها عن مجال اهتمامها حتى ولو أثرت في الآخر بما أنها غير مقصودة.

لذلك فهم يقيمون العلامة على ثلاث أسس ، تختلف في ركن منها عن أركان« العلامة عند دي سوسير و بيرس ، إنها تتكون عند هؤلاء من الدال و المدلول و القصد الذي جعل مفصلا للفرق بين سيميولوجيا التواصل و بين سيميولوجيا الدلالة ، فشرط ما يعتبر ضمن هذا النوع من الممارسات ، أو الوقائع السيميولوجية ، أن يكون الهدف من استخدامها و توظيفها رأسا، هو التعبير عن مراد الشخص و قصده ، في أن يؤثر في المتلقي للعلامة ، بوجه من وجوه العلامة.

وبهذا يبعد أنصار سيمياء التواصل ذلك النوع من السيميائية الذي يدرس البنيات التي تؤدي وظائف غير وظيفة التواصل المعتمد على القصدية لأن هذا النوع سيلتبس بعلوم أخرى.

فالقصدية من التواصل هي الميزة الفارقة بين الوظيفة التواصلية عن الوظيفة الدلالية ، غير أن العلامة التي يشترط فيها القصد بالنسبة لهذا الاتجاه ليست دائما قادرة على ذلك بالشكل الذي تصوروه ، أو بالبساطة التي توهموها. إذ أن ما تعتمد عليه سيمياء التواصل و هي الأدلة باعتبارها أداة التواصل بين مرسل و مرسل إليه ، قد تعجز عن أداء هذه الوظيفة ، بما أنه يوجد تمايز بين طبقات المتلقين و نزعاتهم، أي أنها لم تراع أشكال التواصل الواقعية و يصدق ذلك حتى على إشارات المرور(الأدلة المفضلة و النموذجية لهذا الاتجاه لأنها تتضمن فكرة محددة معطاة من قبل إظهار المركب) ذلك أن كل شخص معرض للخطأ في تقيم تلك الإشارات ، و عندما يقع ذلك لا يكون بمقدور ذلك الشخص تصحيح المعنى ، لأنه لا يكون أمام شريط تواصلي، يتيح له تقويم التجربة التواصلية عن طريق جعلها فعلا لسيرورة الاستمرارية. و بالتالي فالاعتماد على الأدلة فقط لا يضمن نجاح العملية التواصلية لأن ما يهمله هذا الاتجاه و هو الإشارات يتدخل بالضرورة في هذه العملية، سواء بقصد أو بغير قصد.

-2- سيمياء الدلالة:

اهتمت سيمياء الدلالة بما أهملته سيمياء التواصل لا لشيء سوى لأن عملية التواصل لا محالة ستتأثر بقصد أو بغير قصد ، لذا فلا يمكن إغفال الإشارات دون الأدلة بما أنها غير مقصودة بل ستساهم في عملية التواصل ، و قد تصبح العلامات غير المقصودة أكثر تأثيرا من العلامات المقصودة في بعض الأحيان.

لذلك نجد أن أصحاب هذا الاتجاه قد اهتموا بالجانب الدلالي للعلامة حيث يؤكد "رولان بارت" بأن إمكانية التواصل قد تتوفر سواء بمقصديه أم بغير مقصديه وبكل الأشياء الطبيعية والثقافية سواء كانت اعتباطية أو غير اعتباطية، فعملية التواصل لا محال واقعة لذا آمن أن وحدة النص لا تكمن في مقصد المؤلف بل في بنية النص فنادى حينها بموت المؤلف ورأى أن القراء أحرار في فتح العملية الدلالية للنص وإغلاقها دون أي اعتبار بالمدلول وعلى نحو يغدو معه القراء أحرارا في أن ينالوا لذتهم من النص وأن يتابعوا حين يشاؤون تقلبات الدال وهو ينساب وينزلق مراوغا قبضة المدلول .

يذهب "بارت" إلى أن إحدى القدرات التي ينطوي عليها الأدب في قدرته السيميولوجية ، هي قدرته في المراوغة و اللعب بالدلائل ، بحيث يفتح أفق التوقع خارج حدود النص.

لم تعد القصدية في هذا الاتجاه مهمة في فهم الدلالة وإنتاجها بقدر ما هو مهم كيف يصبح المتلقي منتجا لنص من خلال فك شفراته التي تمتد إلى أقصى ما تصل إليه العين حسب ما يراه "رولان بارت" الذي حافظ على الكيان الثنائي للعلامة من دال ومدلول غير أنه لم يقصرها على المجال اللساني فقط وإنما سحبها على كل العلامات الموجودة في الحياة، فاللباس وفق تصور بارت يستخدم مثلا للتغطية ، و الطعام للتغذية ، إلا أن ذلك لا يمنع أن يدل على شيء آخر، كارتداء المعطف الشتوي يستخدم للوقاية من المطر ، و لكن لا يمنع أن ينبئ المعطف بحالة مناخية.

-3- سيمياء الثقافة:

استفاد هذا الاتجاه من الفلسفة الماركسية وفلسفة الأشكال الرمزية لـ" كاسيرر" ومن أهم رواد هذا الاتجاه "لوتمان"، "ايفانوف"،"اوسبانسكي"، "تودروف" وفي إيطاليا "روسي لاندي" ،"امبرتو إيكو" وهم ينظرون للعلامة كبناء ثلاثي الأبعاد يتكون من دال ومدلول و مرجع ، وهذا الأخير هو الذي لا يفسر إلا في إطار مرجعية الثقافة. فالعلامة عند هذا الاتجاه لا تكتسي دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار ثقافي، وهو لاينظر إلى العلامة المفردة بل يتكلم عن أنظمة دالة أي مجموعات من العلامات ولا يؤمن

باستقلال النظام الواحد عن الأنظمة الأخرى، بل يبحث عن العلاقات التي تربط بينها سواء كان ذلك داخل ثقافة واحدة (علاقة الأدب بالبنيات الثقافية مثل الدين، الاقتصاد، الأشكال النحتية...الخ) و يحاول أصحاب هذا الاتجاه الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزماني أوبين الثقافات المختلفة وبين الثقافة واللاثقافة.

فهذا الاتجاه يعتبر الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساق دلالية ، إذ العلاقات الاجتماعية لا تقوم ما لم ننسج علاقات تواصلية. وانطلاقا من هذا يمكن أن نعرف الثقافة بوصفها مجالا لتنظيم الإخبار في المجتمع الإنساني فتعتبر بذلك آلية الثقافة بمثابة جهاز يغير المحيط الخارجي إلى محيط داخلي يحول الفوضى إلى نظام والناس الغفل إلى متعلمين ذلك أن النسق الثقافي نسق تواصلي يستلزم فيه تبادل العلامات.

6-تطبيقات المنهج السيميائي :

يطبَّق المنهج السيميائي في مجالات متعددة ومتنوعة، ويستعمل في معالجة العلامات اللغوية (النص الشعري مثلا) وغير اللغوية (اللوحة التشكيلية مثلا). ولا شك في أن الدارسين الغربيين قد حازوا قصب السبق والتفوق في هذا الشأن. يقول "بيرس" في إحدى رسائله إلى "اللايدي ويلبي Lady Welby" مشيرا إلى جدارة المنهج السيميوطيقي وصلاحيته لمقاربة مختلف الأشكال العَلامية: « لم أستطع أبدا دراسة أي شيء –رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا، جاذبية، دينامية الحرارة، بصريات، كيمياء، علم التشريح المقارَن، علم الفلك، علم النفس، صوتيات، اقتصاد، تاريخ العلوم، لعبة الورق، رجال ونساء، خمور، قِياسة –إلا وَفْق الدراسة السيميوطيقية ».[15]

ويمكن أن نذكر بشيء من التفصيل مجموعة من مجالات التطبيق السيميائي و أهم من تعاملوا معها:[16]

1. الشعر (مولينو– رومان جاكبسون– جوليا كريستيفا– جيرار دولودال– ميكائيل ريفاتير....).
2. الرواية والقصة: (كْريماس– كلود بريموند– بارت– كريستيفا–تودوروف– جيرار جنيت– فيليب هامون...).
3. الأسطورة والخرافة:(فلاديمير بروب...).
4. المسرح (هيلبو– كير إيلام Elam Keir).
5. السينما(كريستيان ميتز– يوري لوتمان...).

6. الإشهار (رولان بارت– جورج بنينو G. Penino – جان دوران J. Durand ...).
7. الأزياء والأطعمة والأشربة والموضة (رولان بارت–....).
8. التشكيل وفن الرسم (بيير فروكستيل Pierre Francastel– لويس مارتان louis Martin– هوبرت داميش Ebert Damisch– جان لويس شيفر....).
9. التواصل (جورج مونان– بروبيطو–....).
10. الثقافة (يوري لوتمان– تودوروف– بياتيكورسكي– إيفانوف– أوسبنسكي– أمبرطو إيكو– روسي لاندي–....).
11. الصورة الفوتوغرافية (العدد الأول من مجلة التواصل– رولان بارتAvedon –...).
12. القصة المصورة (بيير فريزنولد دورييل Pierre FresmanIt–Deruelle.....).
13– الموسيقى (مجلة Musique en jeu في سنوات 70–1971 ...).
14– الفن (موكاروفسكي–.....).

وبتطور المقاربة السيميائية صار بالإمكان تحديد **محاور ثلاثة كبرى** تخضع لها؛ وهي:

- ✓ السيميائيات السردية.
- ✓ سيميائيات النص الشعري.
- ✓ سيميائيات الإرساليات البصرية.

يقصد بالتحليل السيميائي للخطاب الأدبي دراسة هذا الخطاب من جميع جوانبه دراسة سيميائية تغوص في أعماقه ، وتستكشف مدلولاته المحتملة ، مع محاولة ربط النص بالواقع ، وما يمكن الاستفادة وأخذ العبر منه .

هنا، تجدر الإشارة إلى أن التحليل السيميائي يتأثر بدرجة كبيرة بشخصية من يقوم بالتحليل وبالظروف المحيطة به ؛ ولذلك فإن التحليل السيميائي لخطاب معين قد يختلف من شخص إلى آخر، ومن منطقة لأخرى ، ومن فترة زمنية لأخرى ، وهو بذلك مجال خصب للإبداع ، فلا قيود عليه إلا أن تكون هناك دلائل في التحليل المقترح على صحة ما ذهب إليه من قام بعملية التحليل .

6–أ/ السيميائيات السردية.

تتمثل في سبر أغوار مكونات النص السردي من: عنوان، و أسماء، و شخصيات، ومكان وزمان، كما يلي:

–1– سيميائية العنوان:

انطلاق من هذا فإن منهجية مقاربة العنوان في النص السردي تقوم على استجلاء بنيتين هما على التتالي:[17]

1) البنية النصية:

يفترض بالقراءة مقاربة ثلاثة مستويات للعنوان:

- المستوى التركيبي: نوع الجملة واحتمالات قراءتها، ونوعها وعدد مفرداتها.
- المستوى الدلالي/ المعجمي: الحقل الدلالي للعنوان، والعلاقات الدلالية التي تحكمه (تضاد، ترادف، علاقة الكل بالجزء...).
- المستوى البلاغي: الكشف عن البعد الجمالي للعنوان (استعارة، كناية، مجاز...)، و إبراز العلاقات الدلالية غير المتلائمة في إطار الدلالات الضمنية (توتر دلالي، غموض...).

2) العنوان والنص:

تتجه القراءة في هذا الإطار إلى تعويم الحضور اللفظي والدلالي للعنوان في النص، والنص في العنوان، فالعنوان وضع في الأساس ليدل على النص، و هنا يتم الحديث عن انطلاق المعنى من داخل النص إلى العنوان (من الداخل إلى الخارج) أو العكس.

-2-سيميائية الأسماء:

لأجل الدراسة السيميائية للأسماء في نص سردي يتم التركيز على الأسماء التي تواترت بدرجات لافتة للانتباه، وهي في الغالب أسماء الأبطال، من خلال الاستناد إلى المستوى اللغوي والمستوى النصي للكشف عن بعض دلالاتها، وفق الخطوات التالية:

- إحصاء عدد المرات التي تواترت فيها الأسماء (عدد المرات يكون دليلا على كونها أسماء شخصيات رئيسة).
- البحث عن الجذر اللغوي للفظة الإسم، وإذا كان الاسم مركبا نشرح نوع التركيب ودلالته.
- ذكر الدلالات المتداولة للإسم، و الأخذ بالمعنى المرجح منها.
- ربط المعنى المؤول بالنص السردي، والحديث عن دوره في إبراز ملامح الشخصيات، والمضامين المختلفة المرتبطة بها.

-3-سيميائية الشخصيات:

تتمثل منهجية التحليل السيميائي للشخصيات فيما يلي:

- نبدأ بذكر دال الشخصية : الإسم والكنية، مع تحديد دلالات الأسماء .
- تعداد ملامح الشخصيات الخارجية والداخلية.
- تحديد البنية العاملية للمقاطع السردية، من خلال أدوار ووظائف الشخصيات، والأشهر العمل بالترسيمة العاملية المنسوبة إلى غريماص.

-4-سيميائية المكان والزمان:

هناك طريقان لاستخدام اللغة الواصفة في ذكر الأمكنة والأزمنة: أن تذكر كمادة خام في النص، أو يتم ذلك بطريقة شعرية.ومنه فسحر المكان والزمن له وقعه الخاص، إذ قد يكون كل منهما حقيقيا أو رمزيا، متخيلا أو واقعيا، ومنه وجب على القارئ السيميائي البحث في أشكال التوظيف الروائي للمكان و الزمن ، للكشف عن دور ذلك في إجلاء المعاني وتبليغ وجهات نظر المؤلف، وارتباطه بالأمكنة واندماجه في الأزمنة، وكذا الإشادة بالبعد الرمزي لهذين المكونين السرديين.

6-ب/ سيميائيات النص الشعري.

تتفرع هي الأخرى إلى مسارات قرائية ثلاثة هي:

-1-سيمياء الصورة الشعرية:

تتعدى الرؤية السيميائية الصورة البلاغية بمفهومها القديم و ما تحمله من تشابيه واستعارات، لتتناول شعرية الخطاب الشعري بالبحث في المعنى من خلال عنصرين:[18]

-اللفظ : العلامة المفردة وعلاقتها بالمعجم الشعري الذي ترد فيه.

-التركيب: من صورته البسيطة إلى المركبة الحاملة لمعنى الإيحاء، بوصفه تصويرا فنيا إخباريا أو حجاجيا أو وصفيا قوامه تجاور الألفاظ.

يمثل هذان العنصران مرحلة الشرح و التفسير للبرهنة على صحة الإستيعاب والفهم، بل على جودته إذا تناسق الكل مشكلا بنية تأويلية تقوم مقام الخطاب الشعري على أساس أنها شكل تّم توليده من نواة معنى واحد، يشترك فيه الشاعر والقارئ.

يتأسس هذا الانسجام على :

- تكرار وحدات تعبيرية و أسلوبية في الخطاب الشعري.
- تضافر علاقات قائمة بين الوحدات داخل بنية الخطاب الشعري تؤدي بالقارئ/المؤول إلى اعتماد تأويله صورة أخرى لذات الخطاب.

ومنه فالتأويل هو فهم نوعي بعالم الممكن، و استيعاب لكل عناصره، فهو عمل نقدي بين المعنى والشعرية.

-2-التشاكل و التقابل.

ولعل التشاكل بمفهومه السيميائي الحديث يمثل أهم إجراء نقدي بوسعه الإحاطة والاقتراب من التعالقات الغامضة، لما يمتلكه من قدرة على تجميع الرموز المبثوثة على امتداد نسيج النص و إعادة تفكيكها.[19]

ومنه عُرف التشاكل بأنه « كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى والباطنته، و المتجسدة في التعبير أو في الصياغة الواردة في نسج الكلام: متشابهة، أو متماثلة، أو متقاربة على نحو ما، مورفولوجيا أو نحويا أو إيقاعيا أو تراكبيا أو معنويا، عبر شبكة من الاستبدالات والتباينات بحكم علاقة سياقية تحدد موقع الدلالة ».[20]

تقتضي دراسة أوجه الانسجام في نص معين من خلال آلية التشاكل رصد مظاهر **التقابل** فيه، والوقوف على أبعاده الفكرية والجمالية، عن طريق تحديد العلاقات المتنافرة والمتناقضة. و مصطلح التقابل -ويسميه البعض تباينا- قابل لحمل صفة الشمول و القدرة على استكشاف فضاءات النص وصاحبه.

-3-سيمياء الخطاب البصري في الشعر.

تعددت تسميات التمظهر للعناصر البصرية في الشعر لدى الباحثين؛ فمنهم من يطلق عليه "الإنزياح الكتابي" ومنهم من يدرجه تحت مصطلح "المكون البصري"، وثالث يسميه "التلقي البصري" وآخر-وهو الذي نحسبه أقرب تجسيدا لهذا المفهوم- يزكي مصطلح "الخطاب البصري".

يتناول التحليل السيميائي العناصر البصرية في الشعر من خلال:

- ❖ البنية الخطية (الشكل الكتابي-طريقة الكتابة) (الفراغ/الصمت - النقاط/الصمت - نظام الأسطر و تفتيت الكتابة - توظيف مفردات أو عبارات من لغات أخرى).
- ❖ التشكيل البصري (الفضاء النصي) (توزيع الأسطر على فضاء الورقة).

❖ التشكيل الصوري (الفضاء الصوري) (يجمع الشاعر بين الرسم والكتابة اللغوية التي تقرأ من داخل الرسم).

6-ج/ سيميائيات الإرساليات البصرية.

يتعلق الأمر هنا باستكناه المعنى/الدلالة التي توحي بها الصورة بأشكالها المختلفة ، الثابتة منها و المتحركة، على أن يحيط التحليل بمكوناتها كلها من ألوان وأشكال و خطوط و فضاء...ليعطي كلا منها تأويلا سيميائيا أقرب ما يكون إلى الإيديولوجيا، بالنظر إلى الصورة على أنها حامل لعلامات لأيقونية تجمع بين الجمالية والدلالية والخداع أحيانا، فهي سلاح ذو حدين ينبغي النظر إليه واستعماله بحذر.

و أهم الصور التي ركزت عليها السيميائية: الصورة الإشهارية، الغلاف، الصورة الإعلامية، الفيلم.

---

[1] فريد أمعضشو، المنهج السيميائي، الشبكة العالمية للمعلومات، موقع شَبَكَةُ ضِفَاف لِعُلومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة http://www.dhifaaf.com/vb/showthread.php?t=4725

[2] سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط3، 2012، ص 9.

[3] المرجع نفسه، ص 15.

[4] فريد أمعضشو، المنهج السيميائي، بتصرف.

[5] عبد القادر فهيم الشيباني، معالم السيميائيات العامة أسسها و مفاهيمها، الجزائر، 2008، ط1، ص 6-7.

[6] المرجع نفسه، ص 8.

[7] نفسه، ص 8.

[8] جميل حمداوي ، مدخل إلى المنهج السيميائي ، مجلة عالم الفكر ،الكويت،المجلد الثالث، مارس1997، نسخة إلكترونية.

[9] جميل حمداوي، سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، مجلة فكر ونقد، 81-90،

[10] نادية بوفنغور، رواية كراف الخطايا لـ"عيسى لحيلح" -مقاربة سيميائية (الشخصية-الزمن-الفضاء)، مذكرة ماجستير غير منشورة ، تخصص: أدب جزائري معاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2009-2010، ص 19-22.

[11] المرجع نفسه، ص 22.

[12] سعيد بنكراد ، السيميائيات والتأويل ، مدخل لسيمائيات ش - س - بيرس ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط1، 2005، ص72.

[13] لأكثر تفصيل ينظر: جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، ترجمة عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2004، ص 31-37.

[14] سليمة جلال، أسماء السور في القرآن الكريم مقاربة لسانية سيميائية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية و أدابها تخصص لسانيات اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2009/2008، ص 28-32.

[15] فريد أمعضشو، المنهج السيميائي، ص13.

[16] جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، http://www.arabicnadwah.com/articles/madkhal-hamadaoui.htm

[17] خالد حسين، خطاب العنوان واشتغالات القراءة الجدية ومستويات التركيب، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد188، أفريل 2013، ص 50 وما بعدها بتصرف.

[18] أحمد مداس، الصورة الشعرية مدخلا لقراءة الخطاب الشعري، محاضرات الملتقى الدولي السادس السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر-بسكرة، 18- 20 أفريل 2011، ص 524.

[19] المرجع نفسه، ص 94.

[20] نفسه، ص 95.